مراجعات

عباس مراد ، الدور السياسي للجيش الاردني ١٩٢١ — ١٩٧٣
(مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣)

واجهت الحركة الوطنيـــة في الاردن — منـــذ البداية — معضلة أساسية لم تواجهها اي من الحركات الوطنية في الاقطار العربية الاخرى ، وهي المؤسسة العسكرية الاردنية . ولقد حكمت هذه المعضلة الحركة الوطنية في الاردن ، ولا تزال تحكمها وتؤثر في قدرتها على انجاز مهامها الوطنية والديموقراطية . والغرابة لا تكمن في وجود هذه المعضلة ، بل في عدم تلمس الحركة الوطنية لها مبكرا . والدليل على ذلك ان أيا من القـــوى الوطنية الاردنية لم تناقش هذه المعضلة ولم تطرح حلولا لمجابهتها منذ البداية . فأدبيات القوى الوطنية في الاردن خلال الربع قـــرن الاخير — باستثناء السنوات الثلاث الاخيرة — تخلو من أي دراسة او تحليل للمؤسسة العســكـــرية الاردنية وكيفية التعامل معها في ضوء وضعها الخاص وفي ضوء ما مثلته في تاريخ الاردن السياسي ، كما ان برامج هذه القوى — بلا استثناء — خلال الفترة نفسها تفتقر الى أي تحديد لوضع هذه المؤسسة وطبيعتها وظروف نشأتها ، وبالتالي ما هو مصيرها في حال قيام حكم وطني ديموقراطي . ان عدم تلمس الحركة الوطنية لهذه المعضلة بشكل مبكر ، اوقعها في خطأ كبير لا تزال تعاني منه ، وتدفع ثمنه فشلا وراء فشل. ان احدى الاخطاء الاساسية للحركة الوطنية في الاردن انها نظرت الى الجيش الاردني من المنظار نفســه الذي نظرت منه الحركات الوطنية العربية الى جيوش بلدانها ، غير آخذة بالاعتبار ظروف نشأة الجيش الاردني وتركيبته الطبقية والمهام التي أنشـىء من اجلها ، والتي تختلف عن ظروف نشأة الجيوش العربية وتركيبتهـــا الطبقية . فجيوش البلدان العربية وخاصة تلك التي استقلت عقب الحرب العالمية الثانية نمت وتوسعت في ظل مظاهر الاستقلال الوطني ، بغض النظر عن طبيعة هذا الاستقلال ، اضافة الى ان عملية التوسع التي مرت بها اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، فسحت المجال لاطارات لا بأس بها من البورجوازية الصغيرة ومثقفي المدن ان تشكل جزءا لا يستهان به من الكادرات الاساسية لهذه الجيوش. في الوقت الذي كانت مقصورة فيه هذه الكادرات على ابناء « الذوات » وابناء الاقليات خلال الثلاثينات ومـــا قبلها . لقد نقلت هذه الاطارات معها الى داخل هذه الجيوش اهتماماتها ومواقفها السياسية من المشاكل التي تعاني منها مجتمعاتها ، مما اوجد ارضية اجتماعية لبروز حالة وطنية داخلها عبرت عن نفسها بمواكبة الحركة الوطنية في الاطـــار المدني اما بالانضمام كأفراد الى الاحزاب الوطنية ، او بقيام تكتلات وتنظيمات عسكرية مستقلة قادت عملية التغيير في مجتمعاتها بالانقلابات العسكرية التي قامت في الخمسينات من هذا القرن في اكثر من بلد عربي . ولسنا هنا بصدد مناقشة صحة او خطأ الانقلابات العسكرية ومدى تأثيرها في الحركة الوطنية ، بل نحن بصدد مناقشة موضوعة محددة وهي الحالة الوطنية العامة التي مثلتها هـــذه الجيوش ومحدودية او هامشية هـــذه الحالة في الجيش الاردني وكون هذه الحالة بفعل عوامل خارجية اكثر منها داخلية اي من داخـــل المجتمع الاردني . ان ذلك يعود بشكل اساسي الى التركيب الاجتماعي للجيش الاردني الذي يختلف عن التركيبة الاجتماعية للجيوش العربية ، فهذه الجيوش تمثلت في صفوفهـــا القوى الاجتماعيـــة المختلفة مـــن بورجوازيين صغار وفلاحين ومهنيين بكل آرائهـــا ومفاهيمها السياسية المختلفة ، والتي هي انعكاس لما يجري داخل مجتمعاتها ، مما جعلها اكثر تجاوبا مع ما يجري في مجتمعاتها ، واكثر قدرة على تلمس